كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ولا يحزنك كفرهم
ورابعها ان هذه السورة من اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله
عليه وسلم مغمورا مع اعدايه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة
بل يعلو امرك وتظهر قدرك فانا اما انزلنا عليك القران لتبقى شقيا بل لتسعد
معظما مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتشريفا وتكريما وقال تعالى انا اعطيناك
الكوثر السورة **قال** الامام فخر الدين ابن الخطيب في هذه السورة
كثير من الفوايد احدها انها كالخاتمة لما قبلها من السورة وذلك لان الله تعالى
جعل سورة والضحى في مدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله
فذكر شيأ واحدا لا ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى
ولا الاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها
كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى لم يجدك يتيما
فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عايلا فاغنى **ثم ذكر** في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام بثلاثة
اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسح حتى وسع مناجات الحق ودعوة
الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك الثقيل الذي نقض ظهرك ورفعنا
لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك
هذه المناقب الجمة كثرة الموكل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ان
الاشتغال بالعبادة اما ان تكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما
بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ
الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطا حصل في الزمان
الماضي **قالت** عليه السلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ولا شك
ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعي الجانب شريف ممن سيصير
كذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هانا اسباب سعادتك قبل دخولك
في هذا الوجود فكيف اتركك بعد وجودك واشتغالك بعبودية ربنا يا ايها
العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل طاعتك وانما اعطيناك
مجرد فضلنا واحساننا من غير موجب **والخامس** المفسرون
في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض
عند السلف والخلف فروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك
اذفر رواه البخاري **وقيل** الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت
ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى
انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت
ثم العالم ممتلي منهم ولم يتفق ذلك لاحد من الانبيا غيره **واما** الكوثر
الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علما امته وقيل
الاسلام ولا ريب انها من الخير الكثير فانها ورثته الانبيا كما روى
احمد وابو داود والترمذي **واما** على امتي كما بنيا بها سرايل فقال
الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي لا اصل له نعم
روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه
اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع
والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها
ان العلم هو الخير الكثير والثاني اما ان نحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا
قال والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها لا انه
اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة
اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه طالما قال
انا اعطيناك الكوثر قد عقبه بفصل لربك والحر والشي الذي يتقدم على العبادة
هو المعرفة ولان الفا في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس
الا العلم **وقيل** الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع انعم الله تعالى على نبيه
صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي
فوجب حملها على الكل ولذا روي ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس
قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة
من الخير الذي اعطاه الله اياه **قال** الامام فخر الدين ابن الخطيب قال بعض العلما
ظاهر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر
فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما اتاه الله من النبوة والقران والذكر العظيم
والنصر على الاعدا واما الحوض وسايرما اعد لبعض النواب فهو وان جاز ان
يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة
ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال في الحقيقة انه اعطاه الكوثر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)